مهدي سلمان



وهذا أيضاً ليس شعراً

نصوص

وهذا أيضاً ليس شعراً

مهدي سلمان

وهذا أيضاً.. ليس شعراً

وهذا أيضاً ليس شعراً / نصوص

مهدي سلمان / الكاتب

أولى إلكترونية دون حقوق / الطبعة

قل أنا الطفلُ من دونِ أمٍ وأب..

قُل أنا ابنُ الغضب..

❖

الغربان..

علمتنا قتل أخوتنا

ولم تجد وقتاً لتعلمنا دفنهم..

الغربان..

لم تعد تعلّم أحداً شيئاً

لذلك فإن البشرية

لم تعد قادرة على دفن موتاها.

❖

وقفَ الليلُ طويلاً عند الحجر الأملس

لم يلمسهُ، ولم يبكِ عليهِ، ولم يتحدّث عنهُ..

ولم يرمِ به للبحرِ

ولم يبنِ به داراً، لم يركلهُ،

ولم يصنع صنماً منهُ،

ولم يكسر نافذَة الصبحِ به،

لم يفعل شيئاً..

غير النظرِ إلى الحجر

الملقى كشهيدٍ

تحت العجلات السوداء.

❖

قلتُ: هذه ظِلالي..

تتعرّجُ علىٰ خشبِ التابوت

قلتُ: هذا انعكاسي

يهتزّ علىٰ بقعة الدم

قلتُ: هذه صورتي

في جريدةٍ قديمة، تطير عن وجه الجثة

قلتُ: هذه ملامحي

في طرفِ الإصبع الذي يشيرُ للعدم.

❖

يا آدم..

يا أبانا الذي في التراب والصلوات

أين سلاحك؟

❖

صدّقنا

قدمنا قرابيننا

ونحرنا الأضاحي..

❖

ماذا يحدث في السماء الآن؟

أعني.. هذه غربان كثيرة

أقصد.. لو فكر انتحاري هناك بتفجير نفسه.

أين سيصعد؟

❖

يريدوننا شعراء وحسب،

رحىٰ اللغة التي لا تتوقف..

الفم المفتوح بالدهشة والخيالات

يريدوننا كرات من القطن الأملس

تتدحرج ناحية اللامكان

يريدوننا اليد التي تسند الخد المنكس..

القصيدة التي تحلّق في فراغ المجهول.

أما إن قلتَ رأياً فيما يجري،

أما إن أشرتَ بيديك للهاوية،

أما إن عضضتَ علىٰ كف الندم

فهذا ليس شعراً..

حسناً، أنا لا أكتب شعراً

ليس شعراً ما أكتبه

أنا أكتبُ السواد الذي في ركبة طفلٍ

يشعل الإطارات في الشارع..

وتدهسه سيارة (موالية)..

وهذا ليس شعراً

أنا أكتب احمرار الوجنات

من الصفعات المتوالية،

وهذا ليس شعراً

أنا أكتب الدموع المغلفة بالخجل،

في الزنازين المغلقة..

وليس هذا شعراً أبداً..

أكتب انتباهة أم نحو بابٍ ما يزال مغلقاً،

ولم يفتحه الولد المعتقل بعد..

وهذا أيضاً.. ليس شعراً..

ليس شعراً أبداً،

ذلك الجسد الذي يشبه السماء في ساعة القيامة

ليست شعراً مطلقاً..

عين الطفل التي خسرها.

ولا.. ليس شعراً ما يُكتب الآن،

ولا يشبه الشعر

إنه تقشّر الأدب

أفعى الفن تسلخ جلدها القديم..

وهذا لا يمكن أن يشبه شعركم.

❖

بظلمةِ أعدائنا نتلحفُ في الليلِ،

ننتظرُ الله في الفجرِ، يأتي على أملٍ من غمام

وبالطلقات التي نبحت غازها

خلفَ هذي البيوتِ

تناغيَ أطفالها الأمهاتُ الحزيناتُ

حين تخافُ الأغاني، ويبهتُ ضوءُ الكلام..

ويسهرُ شبابنا في توقّع أقدامهم

خطوةٌ،

خطوتان

ويأتون:

- هذا هديرُ ثلاثة (أجياب)

- بل خمسةٍ

«يحسبون المساحةَ، كي يعرفوا كم ستأخذ منهم»

ويغفونَ مستسلمين لأحلامهم في الزنازينِ.. أو في الظلام

ولكننا رغم هذا لنا رغبةٌ في الحياةِ وفي الإبتسام..

ونحلم مثل البقيةِ

حين ننام.

❖

يعني، هذا الصندوق الذي يحترق في الماء وطن؟

يعني، هذه الحَدمَةُ التي تطقطق من النار، أصواتنا؟

أية ريحٍ ستذرو الرماد؟

أين ستأخذنا هذي الصحراء الماشية ببطء فوق الماء؟

❖

بلا صوتهِ يتكلمُ فيّ الصدىٰ

وأنا لا أصيخ له، لاهياً عنهُ بالصمتِ..

يصرخُ فيّ، ولا شيء في هذه الحفرةِ الآن

غيري أنا أتذكرُ وجه بلادي،

ويركضُ -أخرسَ- فيّ الصدىٰ..

ما الذي ستقولُ؟ وأنتَ بعينيكَ مجزرةٌ لا تتمُ

وفي شفتيكَ ضمادُ النهاية،

ماذا لديكَ لتحكيهِ..

يا دمُ من أنتَ؟

من أنتَ بي؟

من أنا.. كي تلاحقني هكذا؟

وأنا شاعرٌ خاسرٌ.. سقطت بلدٌ من يديهِ،

ولم يلتقطها،

بلادٌ جديلتها قلقُ الله في أعينِ الناظرين إليه،

بلادٌ.. لها شفتانِ تتمتمُ أحلامه فيها،

سقطت هكذا.. من يديّ،

تريدُ محاكمتي؟

يا صداي الذي من دمٍ

فاضحٍ

واضحٍ

ناضحٍ

من أنا.. كي تقولَ ليَ.. «اليأسُ والأمـلُ»..

«الخوفُ والموتُ»

لستُ سوىٰ شاعرٍ..،

كلماتٌ بلا هدفٍ تتطايرُ فيّ

ويحسبها قارئي جثةً أو قصيدة،

دموعٌ للا جهةٍ، قلقٌ،

حفرةٌ في فراغ الكتابة،

نومٌ علىٰ عَرَجِ العالمِ،

اسمٌ بلا أحرفٍ في مكبّ النفاياتِ..

يا صاحبي.. شاعرٌ خاسرٌ أنا..

ماذا تريدُ؟ الكلامُ انتهىٰ وقته

الشعرُ أظفار كفٍّ تخرمشُ جدرانَ زنزانةٍ في الصدورِ،

ولليل سطوتهُ، للظلامِ.. الذي يستبيحُ الشوارعَ

للخوفِ حينَ نفكر كم أن في الموتِ..

للجُملِ، الأحرفِ، التأتآتِ، السكوتِ، الأصابعَ في أذنِ

الكلماتِ،

لهذا الهديرِ الذي ينتهي في العيونِ.. وفي الصمتِ

سطوتهُ

ما الذي تستطيعُ القصيدةُ، غيرَ الوقوفِ أمامَ المدافعِ

والصمتُ مبتسمٌ في الشفاهِ،

ولستُ سوىٰ شاعر خاسر.. ويرىٰ في الخسارةِ معناهُ

يا دمُ.. ماذا لديكَ لتحكيه؟

❖

قد يبدو للوهلة الأولى

أنها جثة طافية فوق البحر

قد يبدو أنها وجه المعتقل تحت التعذيب،

غارق في الماء

قد يبدو أنها الصخرة القديمة، يجرها التيار..

القدم في الوحل،

اللمعة الشاحبة فوق خيط الدمع،

قد تبدو جزيرة من صمت..

ترنّ..

في نباح الخليج.

❖

علىٰ من سألقي قميصَكَ.. يوسفُ
حتىٰ يعودَ بصيراً؟
وهذا العمىٰ حولنا يتخطىٰ الجهات

أرىٰ إخوةً تتآكلُ أعينهم، إخوةً تتفتت أحداقهم
وهم يصرخون قتلناهُ.. ألقوهُ في الجبِّ، واتهِمونا
قتلناهُ والبحرَ والذئبَ،
نحن قتلناهمُ ورفعنا المشانقَ للرمل.. والشمسِ والأغنياتِ

أرىٰ.. أمةً تتبسمُ وهي تلوكُ قميصَك
«هذا دمُ ابني» تقولُ،
«وليس دماً كذباً» إنما دمُ يوسفَ..
كم كانَ يوسفُ..

كانت تقولُ وتضحكُ،

هم قتلوهُ وجاؤوا إليّ بهذا الدمِّ الحيِّ

كي لا أرىٰ بعدَهُ ففقأتُ عيوني بهِ

وعميتُ لكي لا أصدّقَه..

آه يوسفُ..

هذا قميصُكَ ألقيهِ نحوكَ

فانظر مليّاً.. لتعرفَ

أنكَ أنت البصيرةُ والعينُ

ألقِ قميصَكَ هذا عليهم جميعاً لكي لا يروا

فيكيدوا لعينيكَ..

هذا العمىٰ لا يريدُ الحقيقةَ

هذا العمىٰ..

لا يصّدقُ إلا عماه.

❖

لا تقولوا لهذا الضوء أن يشعّ، لهذه الطعنة المتلألئة في عنق الجثة الباردة أن تذبل، كل ما في الصدى دعوه يرتدّ، الشِباكُ مليئة بحيواتٍ مقطوعة، بأصدافٍ وطحالبَ لم تنمُ بعد على صخرِ العمر..

وسنعودُ في نهاية هذا اليوم.. كجثامين طافية، في جيوبنا لعبُ أطفالٍ ما تزال في عيونها لمعةُ الفجيعة، وعلى نعالنا طينُ الندم، لحانا علاها الصدأ، وبين أصابعنا تنمو أعشابٌ عفنة، وشفاهنا مكسورة كصلوات مهملة في (كندوج) الرب..

لا تقولوا لهذا الضوء أن يشعّ، لهذه الأنفاس المتقطعة أن تخمد، لهذه المراوح في سماءٍ عالية كتلاشي أن تتوقف، دعوا كلّ شيء على حاله، يراوحُ في مكانه، وأنا في سريري الغارق في نهرِ الصمت، ستتوقف الجثث بهيبة على الطرقات الممحوّة، والدماء ستلصق ألسنتها على السيوف الملتحية، كل شيء كما يريد (الربّ) المريض الذي سيحقق في كل هذه

الجرائم غداً، لا تلمسوا الجروح الغائرة في الرؤوس، لا تضمّدوا الحكاية بعيون الغضب، لا تلملموا تعبكم في كيسِ الانتظار، لا تصرخوا بالدعوة إلى الثأر، اتركوا الليلَ يسيل على الشوارع كموجةٍ عظيمة، ماءَ فزعٍ يقتحمُ بيوتكم المرتعشة، اتركوا الجريمة واضحة وبلا عقاب، القتلى بلا تشييع، والزهور الصغيرة تجرّ أقدامها الخائبة تحت التربة.

❖

ولأنها جزيرة

جنين الماء الأبدي

صرختها المكتومة في مياه الخليج

لا تصل لأحد..

ولأنها جزيرة

قارب الله المقلوب على وجهه

السابح بهدوء في ألمه المتراخي

ولأنها جزيرة

قنينة رسائل العشاق الضائعة

لا تصل رسالاتها..

ولأنها جزيرة..

دمعةٌ من تراب، سقطت في ملحٍ ودم..

ولأنها جزيرة..

خيط سرّها الوحيد..

هو قيدها.

❖

يا السكين المغروزة في خاصرة العالم..

يا اللغم المنسيّ بأسفلِ رجل اللهِ

ويا وطناً مفقوداً في جرّةِ ملحِ الكونِ

تنفسّ..

ثمة أكثرَ من موتٍ، أكثرَ من نسيانٍ، من نابٍ

من جبٍّ يأكلكَ بداخلهِ الذئبُ ويرمي بقميصكَ

في عيني أمتكَ العمياء..

لكي تتشفى..

❖

يا قطرةَ دمعٍ لم يتنبه أحدٌ لمّا جفّت عن خدِّ البحرِ

احتضني خوفي.. وابكيني،

إن الماءَ يذوبُ على شفتيّ، وهذي الصحراءُ الغازيةُ

تسحبني في شهقةٍ موتٍ لم أتيقّنْها

انتبهي لغيابي

إني أغمضُ حزني بهدوء الذاهبِ في معجزةٍ

فانتبهي..

لزجاجةِ مولوتوفٍ فيها جسدي الناحل

أرميها.. أتبسّمُ

وألوّحُ للغيبِ.

❖

لنا النصف من كل شيء هنا،

النصف من ليلنا،

لنا الركض في الطرقات التي أغمضت عينها،

والتي أغمضت عيننا

ولنا كل هذا الدخان/ البكاء؛

لنا هدنة من دقائق تكفي

لنسحب من روحنا حلمنا؛

و لنا النصف من جرح أعدائنا،

ولنا النصف من جرحنا.

❖

لنحلم..

أن هذه الحصى.. أصابع

تنقر على مفاتيح البيانو،

أن هذا الليل عضة ذئب

لثلجِ الكلام..

لنحلم، وبلا تردد

كلما فقدنا وعينا..

وبدأت خطواتنا تتثاقل

أن هذه الرائحة ورق جرائد

تخبزُ عجين الشهداء.

لنحلم، لنغمض أعيننا ونفعل..

أن هذه العبوات.. دموعُ الأغاني الهرمة

لنحلم.. دون أدنى شفقة

أن الرصاص الانشطاري

هو كل القبلات المختلسة منذُ الهرب الأول

لنحلم، لو كان في وسعنا..

أن القصائد الميتة على الأرصفة

ما يزال في صدرها نفس.. وتتمتم بحروف باهتة

قبل أن ترفع يديها للسماء المثقوبة برمح اليأس.

..

لو أنك لم تخترع لنا الحلم..

لو أن في رؤوسنا مزارع أفيون

لو أن الأصابع التي تعزف البيانو.. تضغط الزناد

..

كانت الكلاب تجري وراءنا،

أما أنا فكنتُ أعرجُ، وأعرجُ، وأعرج..

ممسكاً بيد الحلم السوداء

وكانت حقولُ الغاز المسيّل للدموع رطبة

والعبوات كانت خضراء ويانعة..

وأنا أركض.. وكان عرقي يتساقط على العبوات اليانعة

فتذبل، وتذبل..

وصرختُ بالحلم الذي سقط من يدي..

صرختُ فخرج من فمي شيء يشبه الثلج..

لم أتبين ما هو، فخشيت عليه

لو أحلم الآن، قلتُ لو أتمكن من الحلم..

هذي البلادُ كلها طين

وطينها كله دمٌ وعجين..

لنحلم..

لنحلم، مثلُ البذلات الكحلية

مثلُ الخوذات البيضاء كفطر..

لنحلم، أن هذه اللغات التي تأكلنا

لها معنىً..

أن الصمت جسرٌ بين عيوننا وعيونهم

بلا شروط مسبّقة، بلا نقاط سبع،

بلا سقف منخفض أو سقف واطئ

لنحلم..

لو كان في وسعنا أن نفعل..

لو أن هذا النصف من الليل يكفي لكي نفعل

لو أن الأبواب المخلوعة

صدّت الريح قليلاً

عن رأسنا المثقوب..

بحلمٍ حاد..

❖

كلما قلتُ.. أنتِ بلادي

زمّ رجعُ الصدىٰ شفتيه..

كلما قلتُ..

قال.. كفىٰ.. ثم أمسكَ رأسي بين يديه.

❖

قمرٌ وابتسامة

وبكاءٌ علىٰ أهبة الروحِ

ضحكٌ علىٰ أهبةِ القلبِ

موتٌ علىٰ أهبةِ الموتِ..

هل أنتَ يا صاحبي

وطنٌ.. أم قيامة؟

❖

وطنٌ أو أقلّ..

لم نكن ننتبه، أنهُ لم يكن وطناً

إنما كان تلويحةً لفراقٍ

وتلويحةً للقاءٍ

وصمتاً قصيرُ الأمَل.

❖

إنه وطنٌ،

فاض عن مستوىٰ الماء في البحر من حوله،

فغدا أرخبيل..

إنه وطنٌ..

فاض عن مستوىٰ الدمِ والدمعِ

في حزنِ أبنائهِ في يديهِ

فصار القتيل.

❖

ماذا لو أطليتِ برأسكِ من نافذة السيارة؟ الهواءُ قبلة ساخنة.. والرطوبة فرسٌ تعدو نحو الآفاق المعلقة، ماذا لو صرختِ كهندية حمراء على التلال المستلقية أمام مداخل قرانا؟ فيستيقظ بعض الأموات الدلمونيين، ويردوا عليكِ الصيحة بالمثل..

ماذا لو خدشتِ الشمسَ التي ترافقنا مثل كلب؟ ففاضَ عسلٌ أبيض مالحٌ، وكئيب، من خدّها الدافئ؟

هذا النهارُ أمنا.. تلتفُّ بمشمرها الأبيض، وتخبئنا فيه.
وحين أحدّق في وجهكِ المتعرّق أعرفُ أسباباً أخرىٰ للبكاء،
لكن يا حبيبتي، لكن الليل، مقبرتنا الهزيلة، عواؤنا النبيل.
لا تفتحي النافذة لئلا تحرق عينيكِ رائحة الغاز المسيل
للدموع، ولا تصرخي علىٰ التلال لئلا تعتقلين بتهمة
التجمهر. ولا تخدشي القمر، فهو وحده يرىٰ.. من بعيده
الغافل، الدم الذي ينزّ في الشوارع وهو يتحوّل قليلاً قليلاً
وردة حمراء تزيّن مشمر أمنا النهار.
التي تنتظرنا علىٰ الطرف الآخر
من اليوم.

❖

مثلما يجلسُ الصخرُ في أُذنِ الكلماتِ جلستَ

لئلا يصيرَ الصدىٰ صرخةً في الشفاهِ البعيدة

مثلما يتحدّرُ بين المياهِ العميقةِ معنىٰ قصيدة

مثلما يتفقّدُ ربٌّ بريدَه

لم تحوّل عن الدربِ عينيكَ،

لم تنتبه للبنادقِ ملفوفةً في الرقابِ،

ومشدودةً في حزامِ الجنونِ،

ومعقودةً في العيونِ العنيدة.

إن رجليكَ للرملِ؛

فامشِ علىٰ بحرِكَ المطمئنِّ بنعليكَ

مشيَ الخيولِ الشريدة.

وابتسم للدخانِ الذي جاء،
قلْ: بل لكلٍّ نشيدَه.

أنتَ تعرفُ، للظلِّ بابٌ يؤدي إلى السجنِ
والسجنُ هجسُ الرمادِ،
وما مسّتِ النارُ أقسى من الصبرِ
فارفع لرأسكَ كفّكَ والمس بها الشمسَ
تأتي إليكَ طواعيةً، فاختبرها،
ووشوش لها كلمةً «نحنُ نعرفها»
ثم أطلق يديها،
لكي تتخلّقَ في كبدِ الوقتِ شمساً جديدة.

ما لمثلك إلا السماء التي خلفَ ظهركَ

مسحوجةً من دموعِ الضحايا،

ومصهورةً من هتافاتِ أحزانهم..

تتأملُ مثلكَ هذا الفراغَ البعيدَ

وأنتَ تراقبهُ مثلها،

والفراغ الذي كان ما بين عينيكما،

ومقيّدةٌ يدُهُ،

فكّ

قيدَه.

❖

قمرٌ من حجر،

يتعرّقُ أحزانهُ في الظهيرةِ،

والشمسُ بالونُ نارٍ

يرتدي ثوبه بوقارٍ

موشّىً بتطريزةٍ من إبرٍ.

❖

قمرٌ من حجر..

تُفتِّتُه وهو منتصبٌ في الصرامةِ

ريحُ الهبوب

قمرٌ في الغروب..

يحاولُ أن يلمسَ الماءَ

لكنه، كلما مدّ كفاً

يذوب..

❖

قمرٌ من حجر..

يتآكلُ مستوحشاً في الظلام

والضبابُ يمدُّ أصابعهُ حوله

كعروقِ الرخام

قمرٌ..

لا يضيء

قمرٌ ناكسٌ طرفهُ،

قمرٌ.. من ركام.

❖

إنني أمشي على أضلاعِ موتاي

على نظراتهم للغامضِ المجهول،

أمشي فوقَ أحلامٍ بلا رأسٍ، وأجدادي يئنونَ

وقلبي طلقةٌ أطلقها -في صدرِ أنكيدو- الصدى

أمشي ويحدونيَ ضوءٌ لامعٌ في أعينِ البومِ

ويحدوني صوتُ النعيِّ في المأتمِ

يحدوني هزُّ الريحِ للرجفةِ في عينيّ

يحدوني عواءُ القمرِ الأعمى،

ويحدوني جرادُ الخوفِ،

يحدوني نموُّ العشبِ

فوقَ الكلمةِ اليابسة السوداءِ

لا تُدركُ أقدامي إلىٰ أين،

ولا أدركُ من أين،

أرىٰ لليلِ وجهاً دون عينين

ولي اسماً دونَ عينين،

أرىٰ موتاً، وأمي تخبزُ الدمعةَ بالدمعةِ

يا مشمرها الأسودُ من مزّقَ حزنَ الله في ذيلكَ؟

يا مشمرها الأسود، خبّئ هذه الأرض التي تخفقُ من تحتي

بأعطافكَ، ولنمشِ سويّاً.

ميّتاً يمشي علىٰ موتىٰ،

علىٰ أجدادهِ الموتىٰ..

ولا يُسمعُ من أنّاتهم

غيرُ الفراغ.

❖

تسحبُ الأمُّ/ التي/ السوداءُ

ظِلَّ البيتِ عن ليلِ ابنها

الواقفِ في نصفِ عواءٍ

– أنتَ يا ابني، لستَ تاريخكَ.

خذ هذا الندىٰ،

رُشَّ بهِ عمركَ

خُذ صمتاً بلا معنىٰ

ليحميكَ من الحسّادِ،

خذ هذا البكاءَ

لِمَ يا قلبيَ لا تبكي؟

أأعطيكَ دمي كي يطمئنَّ الخوفُ

في عينيكَ؟

خذ عينيَّ،

ماذا تستطيعُ امرأةٌ في الزمنِ الصوّانِ؟

ماذا تستطيعُ امرأةٌ مثلي

كي يفهمها مثلكَ؟

كانت ظلمةُ الليلِ لحافاً

قبلَ أن تأتيَ

كان القمرُ الأخضرُ مكسوراً على أبوابنا،

كان رغيفاً واحداً يكفي لكي نصنعَ شمسين،

فلا تقسُ على أمِّكَ،

خذ هذا عويلٌ سوفَ يكفيكَ،

ولا تعوِ أمامي مرةً أخرى

وكانُ الظلُّ ينسابُ دخاناً

فوقَ وجهِ الولد الواجمِ

لم يبكِ،

ولكنَّ الذي حرّك رمشيه

فأوحى ببكاءٍ كاذبٍ

محضُ هواء.

❖

أنا لا أنتهي..

ندمي يصبغُ التلفزيونَ بالأصفرِ المُرِّ فيّ

ولا ينتهي

جالساً بمحاذاةِ ظهرِ النهايات

ألكزهُ بعصاي الطويلة..

لا أنتهي

إنني كل تلك المسيرات،

تخرجُ كي لا تريدَ

وتنفضُّ كي لا تريدً

لا تنادي بشيءٍ

ولا ضدَّ شيءٍ تسير..

أنا اللافتاتُ المعّماةُ

راياتُ شفافةٌ لا تشيرُ إلى جهةٍ

وأنا الشارعُ الفارغُ الآنَ

بعد المسيراتِ..

صمتُ الهواء الذي لفّ في لحظةٍ كل شيء

أنا لا أنتهي.. أبداً

أبداً لا أجيء..

❖

الرصاصةُ تصطك أسنانها، وهي تشهق

كيف أصيرُ الرسالةَ بين النقيضين

كيف أقولُ لصدر القتيل، بأنك لست الضحية

بل أنت صندوق ساعي البريد الحزين.

❖

اتركوني «لقَيطَانِ» أمي

اتركوني لرملِ أنامِلِها

واتركوني أشمُّ خواتمها

أتشبّثُ خنصرها

وأطيلُ الوقوفَ على دفءِ ..

قالَ: اتركوني

فرائحتي وقعت من يديّ

هناكَ على صدرها

وأخافُ اختلاط الحليب

برائحتي.

❖

نحن الجنين الذي لا يريد الخروج من البحر

حين خرجنا

صنعنا لنا بحرنا في الهواء، وقلنا الرطوبة.

❖

وطني.. عينُ أم الشهيد

وهي تحضنُ كنزته في الشتاء

علمي صمتها، إذ تراقبُ من يفتح الباب

هل..

هو..

جاء

ونشيديَ أنّتها الخافتة

بعد أن تتذكر صورته في السماء

ياله من نشيد.

❖

وصرختُ حينَ رأيتُ نفسي في المنام

لكنَ صوتي وهو يخرجُ من فمي

ما كان صوتاً، كانَ أفعى..

وخشيتُ منها

كيفَ أكتم صرختي؟

أأعيدها لفمي؟

أأطلقها على نومي؟

أأصرخُ مرة أخرى، لتخرج صرخةٌ أفعى سواها

آه يا جحر الأفاعي يافمي

ماذا سأفعل كي أطمّك؟

والكلامُ هو الكلام.

❖

أعطنا قليلاً من الموت، في كيسٍ بلاستيكي صغير، بأي لون تختار. قليلاً من الموت، مثلما ترغب أنت أن يكون، لا نشترط عليك أي وسيلة، موت لنتألم، موت ليسيل دمنا الحي على رصيف ضيّق، موت ليلوّث قيؤنا أردية المستشفيات، موت لنتوقف عن استهلاك كميات من الهواء عديم الجدوى، موت لنغمض أعيننا عن رؤية التماسيح الوردية، موت قصير مثل نظرة عابرة.

نحن لا نطلب الكثير، لسنا أبطالاً لنطلب الشهادة. فقط
نريد ما بعد هذه الفوضى، ما بعد هذا الهراء الذي يتكرر
يومياً
دون أن يجرؤ أحد على إيقافه
إننا فقط «عضضنا» طرف القلم
وآن لكَ أن تستبدله لنا
يا أبانا الذي في سماواته.

❖

كانوا يشعلون أحلامهم للآخرين، وحين يجيء الليل، لا يتدفأ أحدهم سوىٰ بالسواد.

كلما أوجع أحدهم جرح، دسّ فيه خليطَ الدمع والسهر والشهقات، فلا يطيب لهم جرح، ولا تبرأ لهم آهة.

يرتقونَ ما تبقىٰ من عيونهم، لئلا يروا، ويفتقونها لئلا يعموا يلقون في السماء المظلمة، خيوط صنانيرهم الواهنة، ليصطادوا فتاتَ طمأنينة، سوىٰ أن أقدامهم التي علىٰ الأرض، التي في القلق اللهيب.

❖

هذا عيد له رائحة الدم

هذا عيد يتكئ علىٰ جدارٍ أخرس،

ليس لنا هذا العيد

لنا هذا الطفل المجتث من حديقة الأنبياء،

لنا بكاء أهله علىٰ أكتافِ الوجع

من منكم يعرفُ هذا العيد؟

ليمسكه من يده ويأخذه بعيداً..

ليطلقه في صحراء هذه الأمة المتوحشة

ذئباً من نار،

ليفجرّه في قلبِها المتفحّم

ديناميتاً دموياً.

ليس لنا.. هذا العيد الناب

لنا أعلامنا التي لا يصدّقها أحد

زجاجاتُ المولوتوفِ الطفلة

تلوّح ككفٍ مقطوعة.. في سماء سوداء

سعالُنا، وحرقة أعيننا الدائمة

لنا جبالُ علبِ المسيّلات الفارغة،

وجبالُ البيانات الدولية

المتعاطفة بصمت

..

أبعدوا هذا العيد عن طريقنا

كحجرٍ ثقيل، كشجرةٍ تعترضُ المارّة

ولابد من اقتلاعها

سننتظر عند المشرحة،

مهديّنا القتيل

الذي لن يعود من غيبته

وعند المشرحة

سنقف جميعاً

صفاً واحداً

وسنصلّي صلاةً واحدة

ليست بالتأكيد صلاة العيد

ولكنها أيضاً

ليست صلاة الميت.

❖

أليسَ صباحاً جميلاً يا وطني؟ بالرغم من كل شيء، الشهيدة التي لم يتأكد بعد خبر استشهادها، المفصولين الذين كان من المفترض أن يعودوا لأعمالهم بالأمس.. غير أنهم لم يعودوا، المعتقلين المضربين عن الطعام منذ بداية الأسبوع، الشهداء الذين ينتظرون أعياد استشهادهم بفرح، الجرحى الذين ينهضون من النوم اليوم ويحدقون في مرآة قلبك، ثم يقولون.. هذا الوطن يستحق..

أليس صباحاً جميلاً.. حين شعبٌ بأسره، يقول في نَفَسٍ واحد.. أكملنا عاماً آخر من الثورة، إنها ذكرى جيدة للاحتفال، ثم يخطط للاحتفال بطريقة مناسبة تثير غيظ هذا النظام.

أليس صباحاً جميلاً، روائح المسيلات ما تزال تعبق من القرىٰ، والقرىٰ عادة تحب الاحتفاظ بالروائح، الشوارع التي بللها الندىٰ، هي أكثر سواداً منذ الإطارات المشتعلة البارحة، وتحتفظ هي الأخرىٰ ببقع دمٍ حمراء لثائرٍ حاولت سيارة الشرطة دهسه في منتصف الليل.

كم هو صباح جميل، لا قصائد فيه ولا أوهام. ثمة فقط طابور المصطفين في انتظار الخبز، وأطفال نهضوا باكراً ليلعبوا لعبة إغلاق الشوارع الأثيرة لديهم، ثمة فقط وطنٌ يحتفي بالحياة، ويصرّ عليها

يا له من صباح جميل

يا له من وطن.

❖

أحاول إدخال خيط النوم في إبرة الوقت، ولا أفلح

إلهٌ بارد يقرص خدّ الغرفة،

الأنبياء القتلىٰ يطلّون من النافذة

..

وحيدٌ أنا.. في هذا الظلام المرعب، ولا أجرؤ علىٰ فتح عينيّ

القرىٰ المحاصرة تخمشُ بأظافرها الداكنة شاشة التلفزيون المتكبّرة

والشريط الإعلاني حبل مشنقة

جالساً علىٰ طرف السرير، أمامي مرآة خشنة، ووجهي كحلي، برأس مدببة وبيضاء

آهٍ أيها الدخان.. أيها الغاز الأبيض، أينَ تذهبُ في هذا الليل؟

لماذا ترتفع.. والسماء لا تجرؤ علىٰ التظاهر؟

❖

نخافُ على الفرح، ونخافُ منه. نخبئهُ لأوقاتٍ لا ندري إن كانت ستجيء. لا نراهن عليها، ولكننا نحلم بها، نخافُ عليه منه، فنقبره في أرواحنا الميتة، لا ننبشُ ترابها بحثاً عنه، لأن الزمن الذي نحلم به لا يجيء.

سيتعفّن تحت أرواحنا المتحللة، نعرف ذلك، ومع هذا نطمره تحتها بحذر، فرحٌ بعد آخر، بعد آخر، كلما أصابنا فرحٌ، خبّأناه كغربان في أعشاشِنا المظلمة، كلما ارتسمت ابتسامة على شفاهنا مددنا أيدينا على أفواهنا، ولملمناها في أكياس موتنا المؤجل.

الفرحُ الذي نخاف، ماذا لو غشانا مثل ليل؟ أية أرواحٍ ستسعه، وتحتَ كلِّ روح منا.. مقبرة.

❖

حينما لن يكون لي وطنٌ ولا ريش، لن يكون ثمة عينين متسعتين، ولا فمٌ مسوّر بالكاميرات الأمنية، سأكونُ شاعراً لا مبالياً، سأصطاد العناكب والصور الجيدة، وأوقّع على مجموعاتي الشعرية الكثيرة في مقاهٍ لا وطن لها هي الأخرى.

حينما لن يكون لي وطن، يقطع أصابعي على الورقة ويصفق بمسودات قصائدي في وجهي، سأغدو حراً أكثر، وليناً أكثر، ورخواً أكثر، سأبتسم لمن أكرههم، وأغرز أنيابي في خجلي، سأصدر بيانات رخوةً أيضاً، عن أوطان الآخرين، وأتحدث للتلفزيونات عن الحرية التي أجلس عليها، سأقول كم هي مريحة.. وناعمة، ولا تضرّني.

عندما لن يكون لي وطن، مثل حجر مربوط على صدري، مثل أغنية أحاول أن أتذكرها، وطن.. يقرأ معي كتباً كثيرة، ويربطني في أفكارها لكي لا أهرب.. سأجيد التنظير عن أشياء كثيرة أيضاً، أشياء بدأت تتفتت داخلي، وسألبس نظارات أكثر سُمكاً من هذه التي عليّ، وسأطلق لحيتي قليلاً لكي أبدو أكثر جدية.

عندما لا يكون لي وطن

لن أعترف لأحد أني أبكي

بل سأحبس بكائي داخلي

مثل وطن.

❖

لا أعلم

ربما تكون هذه هي الحقيقة،

بالرغم من الغبار الذي يغطيها،

بالرغم من أنها مصابة بطلقة في رأسها،

بالرغم من أنها تصرخ مثل شجرة،

حقيقة فعلاً

ولها هويتها المتهرئة

في محفظة بنية تخبئها في جيبها بحرص،

والصورة على البطاقة تشبهها كثيراً،

لكن شعرها المغطى بالتراب،

دمها الذي ينزف على وجهها،

أصابعها المقطوعة

لكن نحيبها المتقطع،

ونظراتها التي تشبه عصافير نافرة،

لكن خوفها الواضح،

لكن تلعثمُ ذهولها

بالرغم من هذا يجعلها تبدو حقيقة أكثر،

لا أعلم حقاً،

هل يمكن أن تقتنص الحقيقة بهذه الطريقة؟

كأن أحداً ما.. أرادَ أن يشوّهها،

ولكنها خرجت

ركضها الحزين كالتشبث بالآتي

تركض مثل الذي يمشي على الماء،

والدخان من خلفها

هالة من السماء.

❖

تتدحرج الكرة البيضاء نحو المجهول،

الكرة المقصوفة لا تتجه نحو أمرٍ محدد،

إنها فقط تسير بحثاً عن استقرار مفقود،

ليس مهماً أبداً

فسيرها نحو المجهول

هو هدفها الذي لا تريد أن تصل إليه.

❖

أبحث عن ليلٍ كالصرخة، ليلٍ يتقمصُ شكل الحجر الواقع
من أعلى بنيان التاريخ، لأدفن فيه الصلوات الزرقاء، لأدفن
وجه الأُمَّةِ/ وجه الأَمَةِ العوراء، وليلٍ لي يلهث خلف
مصاحف لطخها الدمّ، وأبحث عن ليلٍ.. كعويل الناجين
من العيش، الماضين بخفتهم لخرابٍ مأهول
ليلٍ لي، ليلٍ لسواي، ليوقفَ هذا القيء الأبيض بين شفاه
الحاضر
ليلٍ للمجهول.

❖

من الظلمة الأم

حاملةً حرير دموعكِ

ومقبلةً عليّ،

أنا الساقط عن سرير الندم،

لم أعد في الرداء ،

تحملين (قرائين) مكتوبة بحبر حلمٍ لم يجفّ

تحملين علب حلوىٰ مؤلمة،

أوراقاً من دفاتر مسكونة بحكايات الجن

والعفاريت والشيوخ،

وقلوباً مرضوضة بحوافر اللعنات،

تلفين لي خبزاً ساخناً في نارٍ من شفقة،

وأنا الذي بجانب كوة الوهم والهاوية،

أحدّق في صفّ نخيلٍ

يرفع أقدامه عن نجاسة الماء،

ومغربٍ يصفّر متجاهلاً صفّ العسكر

الذين يفقؤون شمساً برتقالية

بعصيٍّ مدببة.

أنا الذي لستُ في الزنزانة،

مأخوذاً بالكتابة على جدران عمرٍ معاقٍ ومهملٍ

في تنكة الماء الصدئة،

أنتظرك في الخارج الذي لم يعد لي،

في رفة وطنٍ تساقط ريش جناحيه

في محاولات طيرانه الفاشلة.

❖

تحاولُ أن تتسلقَ المستحيل،

أيها المنهك، الرائي أمامك فراغاً لا يُمسّ

عرقك بياضُ التعثّر

والمسافة شهقة تصرّ أسنانها ببطء

أيها الأرخبيلُ المريض

أعطهم يَدَك..

المشدودة على الوجع.

❖

وأنا صحنُ وهمي ملآن

أحكّ بأسفلهِ طاولة جوعي

ليصدر صوته الأملس.. الذي أحب

أحدّقُ في الصمم،

يتقدم نحونا جميعاً.

❖

كان محترقاً

عندما وجدناه

لم يقل شيئاً، لا يستطيع أن يقول شيئاً

فمه مغلق بالنار السوداء

لذلك تركناه هناك

هناك

في الماضي.

❖

بيت صغير

آمن تقريباً

لهُ خدٌ متورّد

وشفتان باردتان

مبتسمتان ببلاهة

لم يستطع أن يمشي بعد

والآن هو نائم

الليلة نام مبكراً، كما ليس من عادته

ولا إله يرتّل فوق رأسه ترنيمة بريئة

لهذا هو نائم

وشفتاه باردتان.

❖

- ماذا هذه الحِرابُ؟

- تلحسُ لحية السماء المتجعدة

- لماذا هذه الحراب؟

- تبقرُ كيس السماءِ الملآن.

❖

كل ما أطلبه هو منفى لرأسي

منفى يحترم هذا الذي بلا وطن وبلا هوية.

❖

حسناً.. صدقني لم آتِ هنا للتخلص منك، فاسترح من هذه الأفكار الحمقاء. واتركني قليلاً، ما هذا؟ وطنٌ أنتَ أم طفلُ يتشبث بثوب أمه؟

❖

الصدفة وحدها، هي القادرة على إخراجنا من كل هذا، الصدفة المخطط لها، الصدفة المشغولة بعناية فائقة، الصدفة التي لا مجال فيها للصدفة.

❖

يالرطوبة هذا الوطن، كعرق خجل الحب، رغم الرقة المتناهية فهي تجعلك تختنق.

❖

يا إلهي العادل.. أعطِ هذا القلب قدرة شيطانية علىٰ الكره، قدرة وحش. لا أريد أن أشفق علىٰ أحد. لا أريد أن أبرر لأحد، أريد قلباً غير هذا، يستطيع بفكين من حديد، بمخالب من حجر، أن يعض وأن يخمش، يا إلهي العادل، علمني الكُرْه.

❖

افتحوا الأبواب لضوء الشمس الخائف. لارتعاشة النهار المرتبكة، افتحوا الأبواب، لتلك الريح اليتيمة التي تحوّم في هذا الزقاق كقطةٍ مبللة.

❖

الدم على ثيابهما.. الضحية وقاتلها، فاعرف دم من تمسح..
وعن ثوب من.

❖

رويداً إلى السماء التي ليست فوق أحد، وعلى الطرقات عرق، وبقايا صرخات، واسطوانات معدنية صغيرة، وقلقٌ كثير.

❖

بعد قليل، يسحب الكرسي ظلاله، ويغادر، بعد قليل، حين يسقط الضوء، وتشع العتمة في الأشياء ذاتها.

❖

الآن أجيد الصمت، مثل حجر، مثل بكاء الإله عليه، لغتي التي مفردتها الوحيدة هي الطنين، تصرخ داخلي، أطلقني.. وكلما فعلت، اختنقت بها أكثر..

❖

إننا نعيش في كابوسٍ كبير، ولا بد أن نصرخ ونصرخ، ونغضب وننفعل، نطلق أعصابنا ككلاب متوحشة عليه، الغضب وسيلتنا الأخيرة للاستيقاظ من هذا الكابوس.

❖

أدلدل رجليّ

كمخمورٍ في بركة دم..

أعطي ظهري للسيف

ووجهي للحمرة في مرآة القتلىٰ

ويدي للقيد

وقلبي لتشقق جدران (البيت)

لساني لـ«ـنعم».

❖

في بسطار العسكري،

المعلّق بسكينة في خزانة صغيرة

بجانب الباب

المنتظر مناوبته بصبر

تنمو أسئلة مائعة

مثل طحالب مائية لزجة

أسئلة برؤوس أطفالٍ،

تهتزّ مثل دراويش فزعين.

وتتقاطر من عيونهم المفقوءة

خيوط طويلة

تتشمّم كل ما في البيت الهادئ

الطاولة الصغيرة أمام الجلسة الصفراء

التلفزيون المعلق على الحائط

حقائب الأطفال

الموضوعة بجانب الثلاجة

الألعاب المكسّرة خلف خزانة المطبخ.

العطور على طاولة الزينة،

والهواء البارد من المكيّف

اللحاف المنسدل من سرير النوم الخشبي.

والأنفاس التي ترنّ على البلاط مثل راقصات باليه

تتشابك الخيوط الطويلة في البيت النائم.

تاركة أثرها على كل شيء

وحين يستيقظ أحدٌ ما في البيت

تعود الخيوط مسرعة للأعين المفقوءة

سوىٰ خيط وحيد.

بقي مشدوداً إلىٰ القدم المتقرّحة

التي ستلبس البسطار

بعد قليل.

❖

في طريقنا الأخير..

ونحنُ ذاهبون إلىٰ الانمحاء

وصدورنا العارية، كلوحات مرامي السهام..

تخفق بالكره اللزج،

وترتعش بالرغبة الزائفة

أقدامنا تنمو فوقها حقول الرصاص النحاسية

وليس في أعيننا سوىٰ العَرَق الكاكي

مثل مستنقعاتٍ متأسنة.

في طريقنا الأخير، ونحن فرادىٰ

مثل قطيع من العواء البعيد،

رماحنا في حلوقنا الجافة، ولا يتوقف الدم اليابس

عن التصلّب علىٰ أجسادنا المنتفخة

تتعالىٰ صيحاتنا،

يلمس بعضنا بعضاً

ونبتسمُ مثل عقبانٍ منتشية

في طريقنا الأخير..

الأخير تماماً، وليس من خَلفٍ وراءنا

في وديان الجحيم الصفراء التي نسير عليها

سيقولُ أحدنا، ولن نتذكر من هو:

لقد وصلنا.

ها نحن انتهى بنا الطريق.

ولحظتها فقط، لن يتبقى منا

غير مستنقعات العرق في أعيننا

تندفق دفعة واحدة

وتتبخر.

❖

- حسناً، الحياة تنتصر.. وهذا يمكن أن يكون رائعاً للوهلة الأولى، لكن انتصار الحياة يعني أن الموت لم يمت.

- لابد إذاً أن ينتصر الموت؟

- لا، بالتأكيد، لابد أن يخسران معاً، في عناق أخير، يطعن أحدهما الآخر، وينتهي كل شيء، كفيلم درامي سيء، لا يصفّق له أحد.

- الخسارة هي التي تنتصر إذاً؟

- أجل، الخسارة هي التي تفوز.. ربما.

❖

فكروا في الماضي

الذي تحت الوسادة الآن

الذي يحاول التنفس بصعوبة

الماضي المتهدل مثل اهتزاز وتر كونترباص

البطيء مثل نحنحة الخجل

في أنفاسه المتلاحقة، وازرقاق وجهه

في عينيه الجاحظتين وهو يحاول تذكر ما سيقول،

فكروا في الماضي

الذي يتمنى فقط لو تركتموه

ظهره لكم

ويخطو نحو البعيد

دون نظرة للخلف،

دون نظرة للماضي.

❖

لكثرة ما خاض فيها الناس جميعاً، صارت المفاهيم كديكة المراهنات.. منتوفة الريش، عرجاء، مفقوءة العيون، ويسيل منها دمُ التفسير من كل جانب.

❖

لم ألمس هذا القمرَ الذائب

في ملح الصحراء

بكيتُ كما يبكي الغرباء

وصحتُ:

أهذا موتٌ، أم عضة أنياب الرب

على عنق التاريخ؟

❖

ثمة قطع زجاج تلمع تحت الكرسي العتيق

وإله مشغول بالخلق يتكئ عليه

وأنا العبد النادم أمامه..

مثل طفلٍ مسحور

مذهولٌ عن توبيخه

بالبحر الذي يحاول الخروج من الزجاج.

❖

– أنت.. هنا، تعال، ما هذا الذي بيدك؟

– أعتقد.. قصيدة.

– كيف تعتقد، هل هي قصيدة حقاً؟

– بلىٰ غالباً هي قصيدة.

– ومن الذي قال لك أنه من المسموح العبور هنا بالقصائد، القصائد ممنوعة.. لا نستطيع إدخالها.

– لكن..

– عن ماذا تتحدث..؟

– لا أدري، إنها معي منذ مدة، ولم أسمعها تتحدث أبداً.

– مطلقا؟

– مطلقاً..

– افتحها لنرىٰ..

– انظر، لا صوت، بالمرة.. قلت لك، لا تتحدث.

– بالفعل.. إنها صامتة..

– صامتة..

- بكماء

- أجل، أظن ذلك.

- اممم.. مع ذلك لا نسمح بمرورها..

- لا أدري، لكن هل أنت متأكد؟ ألا توجد طريقة أخرىٰ لتعبر هذه المسكينة إلىٰ الداخل؟

- لا، القانون قانون.. لا نستطيع التساهل..

- بالتأكيد.. أنا معك.

- خرساء تماماً..؟

- ولا كلمة، تماماً تماماً..

- غريب، هذي أول مرة أرىٰ فيها قصيدة خرساء تود العبور إلينا، ألا تعرف ما الذي تريده منا؟

- لا.. ولا أعرف أيضاً ما الذي تريده مني، أو حتىٰ كيف وصلت إلىٰ يدي.. أنا رجل مسالم.

- بالفعل، أنت كذلك، لكن القصيدة الخرساء..

- ألا تستطيعون تمريرها علىٰ جهازٍ ما.. لكشف نواياها؟

- بلىٰ، نقدر.. لكن أنت تقول أنها خرساء، وجهازنا يكشف نوايا القصائد من صوتها..

- اوووه.. يبدو أن القصائد أيضاً تطوّر من مهاراتها في التهريب.

- هذا ما أخشاه..

- حسناً، تستطيع تركها في الخارج.. بالنسبة لي الأمر لا يهم.. أستطيع التخلي عنها.

- اووه، شكراً لك، أنت شاعرٌ جيد، أغلب الشعراء كنا نطردهم مع قصائدهم، أنت مختلف..

- بالتأكيد، أنا كذلك، شكراً على المجاملة الرقيقة.

- ليست مجاملة، صدقني، أنت شاعر مختلف حقاً. حسناً سنوقف القصيدة من هنا، بينما تستطيع أنت التوجه إلى الداخل.

- هذا جيد، لا أرجوك، لا أريد صكاً، إني أتخلى عنها تماماً.

- هذا أفضل لك، القصائد كائنات متوحشة، ولا تدري حقاً، بالرغم من كونها صامتة، متى وكيف يمكنها الهجوم عليك، لذلك نحن نتخلص منهم هنا.. - بالرغم من كونها ما تزال ورقة بيضاء، لكن صدقني، أنت لا تدري حجم الهم الذي كنت أحمله وهي معي، مجرد ورقة بيضاء، لا تقول

شيئاً.. أنا أعرف القصائد جيداً، وهذه كانت ستكون قصيدة (مشكلجية).

- جيد أنك تخلصت منها..

- بالفعل، شكراً لك

- تفضل بالدخول.

- ...

❖

أفتش بين ركام الشعراء

هذه خربة كبيرة، لم يعد فيها شيء يصلح للاستخدام

العبارات متهتكة، الخيالات عفنة، والحب صدأ يغلف كل ما يقولون

أفتش مثل متشرد

عن لغة طرية، عن عينين صادقتين تنظران للأفق

عن كلمة تقوى على رفع قبضتها والسير في مظاهرة

أفتش، أفتش

ولا أجد سوى شظايا الزجاج

وربطات عنق ملونة

تخنق الشاعر الذي يرتديها.

❖

إنهم يحفرون، بلا تعب، دون سأم، وفي كل اتجاه، يحفرون للأعلىٰ، للأسفل، هناك ناحية الشرق، هنا في الجنوب، وأيضاً في الاتجاهين الآخرين، يحفرون بأظفارهم، بأنيابهم، بألسنتهم الممزقة، يحفرون.. دون أن يلتفتوا إلىٰ شيء، إلىٰ أحد، منهمكون في الحفر، لا يتوقفون لتناول شيء، يخشون ضياع لحظة واحدة دون حفر، أنظروا إلىٰ هذه التلة الكبيرة من الهراء، أرجو أن لا تنهار علىٰ رؤوسهم، أرجو أن لا تطمرهم.

❖

ماذا يريد منا.. لا أفهم

ماذا يريد منا نحن القراء العاجزون

لا أفهمه.. أبداً

هذا الشعر الحذق

الشعر «الفهيم»

الشعر «الفهلوي»

الشعر الذي يلعب باللغة والخيال والقراء والمفاهيم

كما يلعب بالبيضة والحجر

الشعر الصعلوك في لحظة،

والبزنسمان في اللحظة التالية

ما الذي يبحث عنه بالضبط؟

❖

أشفق عليه، المعلم، كيس المعلومات المليء بالأحاجي والتعاريف، صندوق (البازل) الذي لا يفرغ، القاموس الكبير الذي يتمنى لو كان كتاباً صغيراً عن الحب، كل كلمة فيه، قد تعني كل شيء وقد لا تعني شيئاً، وهو ليس ملزماً بشرحها.

❖

1: ها أنا أقول..

2: تقول ماذا؟

1: أقول لكم..

3: وماذا بالتحديد، تقول لنا؟

1: كلمتي..

4: من أين تعلمتها؟

1: لم يعلمنيها أحد.

2: فكيف سنفهمها؟

1: دعوني أقولها أولاً..

4: لكنها كلمتك أنت، ولم يعلمك أحداً إياها.. لماذا تقولها لنا؟

2: نعم، يتوجب عليك أن لا تقولها لنا..

3: ثم ما الضامن إلى أننا يمكن أن نفهمها..

4: قد تزيدنا غموضاً..

2: قد لا نستطيع تفسيرها..

3 : قد تكون كلمة مشبوهة..

4 : أو كلمة مفخخة..

3 : أوووه.. هل ممكن؟

4 : بالتأكيد، إنه أمرٌ وارد، لا تستغرب شيئاً أبداً.

2 : أعتقد ذلك، إنها كلمته هو، ومع هذا لم يستطع أن يحتفظ بها، هل تتوقعون مثلي لماذا..

3.4.5.6 : أووه، بالتأكيد، إنه يريد أن يتخلص منها.

1 : ليس هكذا، صدّقوني، ليس كذلك، إنها مجرد كلمة.

2: مجرد كلمة.. هل تريدنا أن نصدّق، ليس كذلك، إنها كلمتك.

1 : بلى هي.. كلمـ..

3 : إنها ليست كلمته، ليست كلمتك؟ وتريد أن تقولها لنا؟

2 : من يظنّ نفسه؟

4 : ليست كلمته..

1 : بلى، أعني أن الجزء الأكبر منها.. هو كلامي..

3 : ماذا تعني بالجزء الأكبر، هل هي مقسمة؟

4 : إنها مقسّمة، لماذا يقسّم أحدٌ ما كلمته؟

2 : يريد تهريبها..

1 : تهريب ماذا، أنا فقط أقول أنني اقتبست بعضاً من..

2 : اقتبست، تعني أنك سرقتها، سرقتها وجئت هنا لتقولها لنا.

3 : أوه.. أبعدوه، أبعدوه من هنا، ألقوا القبض عليه، إن معه كلمة مسروقة

4 : أجل، كلمة مهرّبة

5 : كلمة..

6 : مفخخة.

(بلبلة، لا تنقطع..)

❖

في وسط الشارع نقفُ جميعاً

رافعين أكفنا للأعلى،

مجموعة كبيرة من الشعراء

من بلدان شتّى، محدّقين إلى السماء،

السماء الإسمنتية التي بدأت تتفتت

على رؤوسنا.

❖

توجعني الصفحة الأخيرة في الكتب،

بيضاء وعارية،

لا شيء غير الرقم أسفلها،

كما لو أنها أجهضت به.

❖

الغبار الرمادي الذي ينبعث من الركام

الذي يغطي وجوه الشهداء،

ويصبغ دم الجرحى..

الذي يتقدم ممراً يده الخبيثة على الكائنات

محولاً إياها لتماثيل إسمنتية

ما أشبهه بضمائرنا.

❖

بالقدر ذارته، الذي فتحت به فمك، افتح عينيك.

بالخيط ذاته الذي خطت به عينيك خط فمك.

❖

صباح الخير يا مملكة الشر

صباح الشمس

تخرج من خلف اللحى المتوحشة

هل نمت جيداً البارحة أيتها السماء؟

❖

كلما رأيت أحداً، ودعته بنظرة شائخة.

ألفّ المغارب بين أصابعي مغرباً بعد آخر

ثم أعود من الطريق ذاته

تاركاً ظلي الكهل،

يلملم أصابعي، وينشرها في العتمة.

❖

لو عندي مرآة

بحجم رمشة عين

لأري للعالم وجهه

لأوجهها نحو العميان الفقراء،

الذين يصطدمون بحوائط جزعة

ويتعثرون باليأس

الغبار همس لهم

ومدّ يده بالمنديل

وقال: لو المرآة مقعرة

ليذب استغرابهم، والنظرة السائلة

على وجوههم.

من يمسك قدم موسىٰ الحافية ليوقفها

فلننفخ في النار الوهمية، لنطفئ

حاجة الألوهية في نفسه

وعلىٰ طول الدرب الذي يعود به

قبور تهتز، شواهدها مرايا يقظة

يالأنفاس الصحراء المتئدة

اعرق يا كلب الشمس النحيل

اعرق وادلع لسانك المتوحش

والعق مراياي الصلبة

والهث دون جدوىٰ.

بركت الصحراء وراء النيل

وشهقت في ثيابها

فيما دمها النقي يلوث البحر

لو عندي مرآة

لأرميها في المياه الحمراء

لأشاهد مرة واحدة

اللمعة الأخيرة

في عيون الموتى.

❖

بين صرير الأسنان، ونطق الآهة

تنفرج الشفتان،

وكالعمياء

تعثر في حيطان الصمتِ (لماذا؟)

حتى تسقط إعياءً فوق الجثث المتربة

فلا يبقى غير رنين صداها..

يتعثر في أجوبة دون سؤال.

❖

موتٌ واحد

يسحب مثل الشيخ عباءته

فوق المدن المهجورة.

❖

في لحية هذا الموت ولدنا

في لحيته ألقينا النرد

وفي لحيته متنا ونموت

❖

تهتزّ ستارة هذا العالم، إذ تسقط تحت النافذة السوداء قذيفة تهتزّ جفون السكتة، يهتزّ سريرُ القدر النائم في عزلته، يهتزّ الفنجانُ بكف البدو، ويهتزّ جبين الشيخ الساجد، يهتز الخصر الناعم للراقصة، وتهتز الصورة..

تهتز الصورة.

❖

ابحث عني يا ليلُ

ابحث عني..

جدني في أي مكانٍ

أنجدني.

❖

العالم كلب يجري وراء ظل، الظل في هيئة رجل مسن، لكن الرجل المسن ليس موجوداً، والكلب يجري بأسرع ما أمكنه، والظل يتحرك ببطء الرجل المسن، لكن لا الكلب يصل للظل، ولا الظل يتعب، ولا الجدار ينتهي، ولا أنا أنام.

❖

أشعر أني قطعة الشطرنج التي لا تتحرك حتى تنتهي اللعبة، يسقط ملك بعده ملك، دور وآخر، وزراء يتهاوون، فيلة تترنح، قلاع تهدم، جنود وأحصنة تتكسر على جانبي المعركة الكبيرة.

وأما أنا، فواقف مثل حرباء تلونت بلون المكان الذي هي فيه، فنسيت نفسها ونسيها الآخرون.

❖

لم يكن حلماً، أو هلاوس مختنقٍ بالمسيّلِ
كنتُ أرىٰ الدمَ في الشارع المتلعثمِ،
هذا الدخانَ الذي بيديه العجوزين
يخنقنا ويكممُ أفواهنا،

والبيوتَ التي وزّعت قلبها (بصلاً) ومناديلَ
كنتُ أرىٰ صوتَ طلقاتهم
راكضاً في الدخان الكثيفِ
أرىٰ الله يمسكُ أيدينا في الأزقةِ،

كنتُ أرىٰ..
واضحاً وطني يتحدثُ للمسعفينَ،
ويحملُ جرحاهُ في جرحه وهو يهتف:

خلّوا الطريقَ، ويمسحُ عن وجهه عرقاً ربما

أو دماً ربما

أو هلاوسَ مختنقٍ بالمسيّل

أو ربما.. حلما.

❖

لن أضحك أخيراً،

ما سأفعله كثيراً، وكثيراً جداً

أني سأقف ببلاهتي المعتادة

ودون أن أطلب إذناً من أحد

سألقي قصيدة طويلة

ومملة لدرجة تبعث على الخمول

حينها سينام الجميع

حتى القهقهة.